

في نور محمد فاطمة الزهراء

والذين عاضدوا [556] محمداً على حرف، كان من الطبيعي أن يدركوا – أو كثرتهم – أنَّهُم غدوا منه أقرب، ربِّه أعرف، وله أطوع منهم قبل بدء الحصار. ربِّما لأنَّهُم عايشوه، أو خايلتهم منه أقباس نور، أو شاموا في الغد المقبل الرجاء، أو استوعبوا عبرة التجربة التي فرقت الحق من الباطل، ومازت [557] الطيب من الخبيث. لا جرم ولا جدال، فحياتهم قبل صحبتهم له بمنفاه كانت تيهاً هائلاً من الفراغ، أرواحهم كانت جوعى، وأفئدتهم طماء [558]، كانوا كمثّل التربة البكر، تتوق للقطر، وتنتظر المحراث، ليخرج زرعها شطأه، وينشر النصرة والخير. ولا بدّ قد تأثروا به، لا بدّ قد طوفوا مع دعوته إلى الإسلام ببعض جوانب الحكمة الربانية تطوافهم خُشوعاً بالمسجد الحرام، لا بدّ قد استهواهم ترتيله القرآن، وتفصيله آياته، وتحليله معانيه استهواء الرحيق النحل، والضياء الفراشات، والخضرة العصافير. كانت نفوسهم ترفرف مع أفكاره حول الذكر، تحويم الطير حول موطن الحب والماء، انتجاعاً [559] لما يسدّ الرمق، ويطفئ الأوام [560]، فتغدو وهي صدياً خِصاص [561]، وتوشك أن تروح وهي ريا بطن [562]. ولم لا؟ فلعلّ أن يفتح لهم باب الطاعة، لعلّه أن يرزقهم الهداية (وَكَايَينَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا إِنْ يَرْزُقْهَا) [563]. أو كأنَّهُم النحل إذ أوحى ربك إليها: (أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنْ الشَّجَرِ